بسم الله الرحمن الرحيم

"وَمَن زَعَمَ أنَّ القُرآنَ مخلُوقٌ فَهُوَ كافِرٌ باللهِ العَظيمِ كُفرًا ينقُلُ عَنِ المِلَّةِ، ومَن شَكَّ فِي كُفرِهِ مِمَّن يَفهَمُ فَهُوَ كافِرٌ".

أقول: من قرأ القرآن متعبِّدًا لله بتلاوته، طالبًا العمل به؛ فعلًا للأوامر، واجتنابًا للنواهي، وتصديقًا للأخبار، علم أنه كلام الله المنزل منه، وكلام الله القرآن وغيرُه غير مخلوق؛ لأنه صفة للربِّ -جلَّ وعلا-، وصفات الباري -جلَّ وعلا- غير مخلوقة، ولهذا يقرِّر أئمَّتنا أنه ليس شيء منها محدثًا، فالصفات فرعٌ عن الذات، فكما أنه -سبحانه وتعالى- هو الخالق، والأوَّل الذي ليس قبله شيء؛ فصفاته غير مخلوقة، وليس شيء منها محدَثًا، وكان المسلمون في عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعهد الخلفاء وعهد الصحابة قاطبة والخيار من أئمَّة التابعين، يقولون: «القرآن كلام الله»، فلمَّا نبتت نابتة الجهمية والمعتزلة القائلون بخلق القرآن،

اضطرَّ الأئمَّة إلى أن يقولوا: "القرآن كلامُ الله المنزل على محمد -صلى الله عليه وسلم-، بواسطة جبريل -صلى الله عليه وسلم-، وهو غير مخلوق"، وأجمعت الأئمَّة على كفر من قال بخلق القرآن.

وأوَّل من احتوى هذه المقولة الكفرية الناقلة عن الإسلام من الخلفاء هو الخليفة العبَّاسي عبدُ الله، الملَّقب بالمأمون ابن هارون الرشيد، ويقال: إنه رافضي، ويقال: متشيِّع. والحامل له على احتواء هذه المقولة الكفرية بطانته من المعتزلة، وإمامهم بشر بن غياث المريسي، وبعضهم ينطقها: المرِّيسي بتشديد الراء، وكان شيخُنا الشيخ حمَّاد بن محمد الأنصاري -رحمه الله- وهو من هو- يصحِّح لنا نطقها، فيقول: المرِيسيُّ بالتخفيف. ثم بقيت المقولة محتواةً من ورثته؛ من أبنائه وبعض أحفاده، فامتحن الأئمَّة بها،

وحمل النَّاس عليها بالقوَّة، وممَّن أوذي في هذه المقولة الكفرية الإمامُ أحمد -رحمه الله-، فصبر هو ومن معه، حتى فرَّج الله عن هذه الأمَّة وأئمَّتها بأمير المؤمنين جعفر المتوكِّل -رحمه الله-، فحمل لواء إفساد هذه المقولة، ونفَّس الله به الكربة والمحنة عن أهل الإسلام.

والسؤال: هل يوجد من يقول بها في هذا العصر؟

نقول: نعم، سيِّد قطب في تفسيره المسمَّى "في ظلال القرآن" في سورة (طه) (4/ 2328)، فإنه قال: "فالقرآن ظاهرةٌ كونيَّةٌ كالأرض والسموات، تنزَّلت من الملإ الأعلى" ما معنى "كونيَّة"؟! يعني: مخلوقة، ويوجد في بعض الأقطار المجاورة لنا من يقول مُفتوها والأئمَّة الكبار فيها بهذه المقولة الكفرية.

وقد تضمن كلام الإمامين -رحمهما الله- مسألتين:

المسألة الأولى: تكفيرُ من قال: "إن القرآن مخلوق"؛ لأنه خالف القرآن، وخالف السنَّة، وخالف إجماع الأئمَّة، وهذه الأدلة الثلاثة كلُّها متوافقةٌ على أن القرآن كلام الله، وليس بمخلوق، فكان بهذه المقولة كافرًا، وذلكم أن القرآن هو من كلام الله، وكلام الله من صفاته، وصفات الربِّ -سبحانه وتعالى- ليست بمخلوقة؛ كما أن ذاته ليست بمخلوقة، فهو -سبحانه وتعالى- الخالقُ، وما سواه ممَّا يُحدِث في الكون هو مخلوقٌ، كالسموات وما فيها، والأرض وما فيها وما بينهما، كلُّه مخلوق لله -سبحانه وتعالى-.

المسألة الثانية: مسألة جيِّدة احترازية، وهي تكفير من شكَّ في تكفير القائل بخلق القرآن ممَّن يفهم، فتأمَّل ذكرهما لقيد الفهم،

فإذا قال إنسان معتزليٌّ أو جهميٌّ أو غيرُهم من الطوائف الضالَّة: "القرآن مخلوق"، وسمعه إنسان آخر يقول هذا القول؛ وهو يعلم أن القرآن كلام الله ويفهم مراد هذا القائل ويدرك حقيقة قوله، ثم يشك في ذلك فإنه يكفر.

وهذه قاعدة عند أهل السُّنَّة "من شكَّ في كفر الكافر فهو كافر"؛ فمن شك في كفر اليهود أو كفر النصارى أو كفر المجوس أو غيرهم، ممَّن حكم أهل السُّنَّة بكفره وهو يعلم حاله، فإنه يكفر ولا كرامة عين؛ لأنه بهذا الشكِّ يهدم دلالة الكتاب ودلالة السُّنَّة المتواترة، ويهدم إجماع أئمَّة أهل السُّنَّة.

[تكحيلُ العَيْنَين بشرح عقيدةِ الرَّازِيَّيْن، للعلامة عبيد الجابري -حفظه الله-، ص: 217-215].

هدم البنيان على القائلين بخلق القرآن

العلامة الشيخ عُبيد بن عبد الله الجابري

miraath.net
ميراث الأنبياء

حقوق الطبع محفوظة